تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 52- سورة الأنفال | من الأية 16 إلى 36

عبدالرحمن العجلان

ثم قال جل وعلا وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان جنحوا للسلم وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان جنحوا بمعنى جنح الى كذا مال اليه - 00:00:00

وسميت عظام الصدر الظلوع جوانح لان فيها ميلان تقويس الجنوح الى الشيء وجنح اليه بمعنى وان جنحوا من هم المتحدث عنهم من قبل هم المشركون والكفار الذين قال الله جل وعلا عنهم ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون - 00:00:36

وامرنا جل وعلا بالاستعداد لهم ما استطعنا من قوة توعدهم بانهم لا يفلتونه وامرنا بان نستعد لقتالهم وان نستعين بالله وان نبذل النفقة في سبيل الله طيبة بذلك نفوسنا لانها مضاعفة - 00:01:14

في هذا تحريض على قتال الكفار وعلى جهادهم بالنفس والمال ثم قال جل وعلا بعد ذلك وان جنحوا للسلم بعد ما امرنا بعد ما توعدهم وامرنا بالاستعداد لقتالهم قال وان مالوا الى السلم - 00:01:44

فمل معهم اليه نقبل منهم وان جنحوا للسلم فاجنح لها في هذا دلالة على ان الاسلام لا يميل الى القتال والى اراقة الدماء ولا يرغب في ذلك وانما يرغب في ان يدخل الناس في دين الله. وان يعبدوا الله وحده - 00:02:15

ويرغبهم في عبادة الله وحده بدون سفك دماء فمن وقف في وجه الدعوة الاسلامية وعاند وكابر ولم يقبل هدى الله ولم يدفع الجزية فحينئذ ازالته من الوجود صلاح للمجتمع والا فالاسلام - 00:02:59

يدعو الى عبادة الله وحده ولا يرغب في القتال من اول وهلة والنبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حاصر بلدا دعاهم الى الله ويأمر رسله وقادة الجيوش الاسلامية بان لا يبدأ القتال وانما يدعو الى الله - 00:03:39

فمن استجاب فله ما للمسلمين وعليهما عليهم وان ابى دعوه الى دفع الجزية عن يد وهو صاغر فان رضي بذلك قبل منه وان لم يرضى فما بقي حينئذ الا القتال - 00:04:11

وفي هذه الاية يأمر جل وعلا عباده يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه بان من مال من الكفار الى السلم فانا نقبل منه والسلم المسالمة وعدم القتال - 00:04:36

اجنح لها لان في السلم وان كان مع الكفار فيه دعوة الى الاسلام تنتشر تعاليم الاسلام وتتناقلها الاخبار ومن اراد ان يستفيد يقدم ويستفيد ويأخذ الاسلام من المسلمين ومن افعالهم الحسنة - 00:05:08

بخلاف ما اذا كان بين الطائفتين حرب فالمسلمون لا يدخلون على الكفار الا محاربين. والكفار لا يدخلون على المسلمين الا محاربين. وحينئذ في هذا لا تنتشر الدعوة الاسلامية لان الاسلام - 00:05:47

مع التمعن ومع الانصاف والتأمل تقبله جميع الفطر. الفطر تقبله لكن الكثير ممن يرده لعدم فهمه الاسلام بالسلم يمكن ان يفهمه من يريد فهمه يعتنقه باذن الله وان جنحوا للسلم او للسلم قراءتان - 00:06:14

اجنح لها وتوكل على الله الجنوح الى السلم فيه محاسن وقد يترتب عليه شيء من المساوي المحاسن ما ذكرت شيئا منها التي الذي ذكرته الان تناقل المعلومات واتصال هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء. وبهذا تنتشر تعاليم الاسلام. ويدركها من يريد فهمها وتعلمها - 00:06:53

ومن المحاذير هو انه قد يطلب الكفار المسالمة وقتا معين وهدفهم في ذلك الخداع للمسلمين. وللاستعداد في حربهم هذه من المحاذير اذا اعطينا الكفار المهلة لكن هذا المحظور كفانا الله اياه بقوله - 00:07:33

وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله قد يقول قائل اذا اعطينا الكفار مهلة قد يتقوون بهذه المهلة ويخادعوننا ثم يأتوننا على غرة - 00:08:10

وهم معروفون بنقض العهود ونحن نفي بالعهد فهذه الناحية تكفل الله جل وعلا بها بقوله وتوكل على الله فالله كافيك انه هو السميع لما يقولونه ويتدارسونه بينهم العليم بما يدبرونه. لا تخفى عليه خافية - 00:08:39

هو مطلع على كل ما يدبرونه ويخططونه فلا تخشى من هذه الناحية لان الله جل وعلا كافيك اياها ثم وضح ذلك زيادة فقال جل وعلا وان يريدوا ان يخدعوك ان اراد الكفار - 00:09:15

في هذا السلم والمسالمة الخديعة لاجل ان يتقوى لحربك فان حسبك الله حسب بمعنى كافي فان حسبك الله فان الله كافيك ثم بين جل وعلا كفايته لعبده واعطاه والمؤمنين نموذجا منها - 00:09:42

وقال هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم هذا شيء من كفاية الله جل وعلا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فان حسبك الله كافيك الله اذا اتكلت عليه - 00:10:26

وهو سميع عليم مطلع على احوال الخلق لا تخفى عليه خافية وقد سبق ان ايدك بنصره. متى يا ام بدر وبالمؤمنين نصرك الملائكة ونصرك بالمؤمنين نصرك بشيء لم تدركه وليس بمحسوس - 00:11:01

ونصرك بشيء محسوس تراه ايدك بنصره شيء ما تدركه القى الرعب في قلوب الكفار هذا لا يطلع عليه الملائكة تضرب الكفار وتسوقهم هذا لا يطلع عليه الملائكة تحرض المؤمنين وتقوي عزائمهم - 00:11:34

وتقلل المشركين في اعينهم وتظهر لهم هزيمة الكفار. هذا ما يدرك وامر اخر مدرك معلوم وهو التأليف بين قلوب المؤمنين جمع الله لك القلوب وصارت كأنها على قلب رجل واحد. بينما كانت متناحرة - 00:12:04

متناثرة متحاربة كانت الحرم بينهم تثور لاتفه الاسباب وتستمر السنوات الطوال بين الاوس والخزرج قامت الحرب بينهم في موضوع واحد مئة وعشرين سنة في الجاهلية وكانت الحرب تثور السنين بسبب كلب - 00:12:37

او بسبب ناقة او بسبب كلمة تقال في مجلس ولو انفق المنفقون الاموال الطائلة من اجل جمع القلوب ما تمكنوا من ذلك هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم بين قلوب من - 00:13:11

قلوب المؤمنين وهل هي خاصة الانصار الاوس والخزرج كم هي عامة؟ قيل وقيل يا خاصة في الانصار الاوس والخزرج لانه كان بينهم حروب طاحنة وعداوة شديدة فبعد الاسلام والايمان ساروا على قلب رجل واحد - 00:13:44

اخوة في الله والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا. لو انفقت كلما وجد على وجه الارض من اجل تأليف القلوب ما استطعت لان تأليف القلوب لا يشترى - 00:14:10

ويؤخذ بالاموال مهما بلغت كما في النفوس يبقى فيها لو اصلح المصلحون ودفعوا ما دفعوا من المئات الالاف والملايين وغيرها ما الفوا بين القلوب ما في القلوب يبقى لا تزيله - 00:14:33

الاموال ولكن الله جل وعلا هو القادر على ازالته وقد ازاله بالفعل فصاروا يدا واحدة على اعداء الله واعداء رسوله اجتمعت الكلمة بعد ما كانوا متفرقين ولكن الله الف بينهم انه عزيز - 00:14:57

حكيم عزيز غالب ما اراده الله جل وعلا لابد وان يكون حكيم يضع الاشياء مواضعها يعطي لحكمة ويمنعوني حكمة وينصر جل وعلا لحكمة ويخذل لحكمة فعطاؤه جل وعلا بحكمة يعطي من يستحق العطاء - 00:15:36

ويحرم من يستحق الحرمان ويكون عطاؤه لحكمة يريدها جل وعلا انه عزيز حكيم وقوله جل وعلا وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله. هذه امر بالسلم وهل هي باقية ام منسوخة باية السيف كما يقول بعض المفسرين - 00:16:16

وما المراد باية السيف اية السيف تعبر عنها كثير من المفسرين رحمهم الله والمراد بها الايات النازلة في قتال الكفار عموما في سورة

براءة قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة باية السيف - 00:16:56
فلا مسالمة مع الكفار وانما قتالهم والمسالمة كانت في صدر الاسلام. ثم لما قوي المسلمون نسخ الله ذلك باية السيف. هذا قول لبعض والقول الاخر ان هذه الاية في حق اليهود والنصارى في حق اهل الكتاب خاصة - 00:17:23
اذا مالوا الى السلم انمل معهم ولنأخذ منهم الجزية والقول الثالث انها ليست منسوخة وليست في حق اهل الكتاب خاصة اليهود والنصارى. وانما هي في حق عموم المشركين وهذا الامر راجع الى نظر الامام. وما فيه المصلحة للاسلام والمسلمين - 00:17:55
فان كان المسلمون في حالة قوة واستطاعة للحرب والكفار اقل شأنا واقل عدة وعتاد من المسلمين واضعف ويمكن السيطرة عليهم فلا يجوز للامام في هذه الحال ان يقبل السلم معهم - 00:18:29
واذا كان الامر بخلاف ذلك اذا كان الكفار في حال قوة والمسلمون لا يستطيعون مقاتلتهم وجهادهم ففي هذه الحال يجوز للامام ان يقبل السلم مع الكفار او يطلب منهم المعاهدة - 00:18:56
على كف القتال سنة او سنوات قالوا ولا تزيد عن عشر سنوات كما عاهد النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في صلح الحديبية على ايقاف الحرب بينه وبينهم عشر سنين - 00:19:32
لكن قريش نقضت العهد لحكمة يريدها الله جل وعلا فحصل بذلك فتح مكة وفيها ثلاثة اقوال قيل انها منسوخة وقيل انها خاصة في اهل الكتاب وقيل هي عامة وليست منسوخة وهذا يرجع الى حال المسلمين قوة وظعفا فان - 00:19:54
المسلمون في حال قوة وممكن ان يتغلبوا على الكفار فلا يجوز للامام ان يقبل السلم معهم واذا كان الامر بخلاف في ذلك فللامام ان يقبل السلم معهم والمعاهدة وقتا معينا على كف الحرب من سنة الى عشر - 00:20:25
وفي قوله جل وعلا فاجنح قراءتان قراءة بفتح النون فجنح وقراءة بضمها فاجنح بضم النون فاجنح لها والسلم فيها قراءتان السلم والسلمي والفتح اشهر قراءة الجمهور وانث الظمير في قوله فاجنح لها اي للسلم لان السلم كالحرب تؤنث - 00:20:45
او لعل المراد بها كما قال بعض المفسرين الفعلة او الخصلة التي يحصل بها المسالمة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم - 00:21:22
وان يريد وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف - 00:21:55
بينهم انه عزيز حكيم قال العماد ابن كثير رحمه الله يقول تعالى اذا اذا خفت من قوم خيانة فانبذ اليهم عهدا هم على سواء فان استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم - 00:22:19
وان جنحوا ايمان للسلم اي المسالمة والمصالحة والمهادنة. فاجنح لها اي فمل اليها منهم ذلك ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب ووضع الحرب بينهم وبين رسول لله صلى الله عليه وسلم تسع سنين اجابهم الى ذلك - 00:22:40
مع ما اشترطوا من الشروط الاخر فقال عبدالله ابن ابن الامام احمد حدثنا محمد بن ابي بكر المقدمي حدثني فضيل ابن يعني النميري حدثنا محمد بن ابي يحيى عن اياس ابن عمرو الاسلمي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه - 00:23:07
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيكون اختلاف او امر فان استطعت ان يكون السلم احرص على السلم ما قدرت الى ذلك. او ما امكنك ذلك ولا - 00:23:31
تحرص على الحرب وكما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الاخر لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية. فاذا لقيتموهم فاصبروا فان الجنة تحت ظلال السيوف وقال مجاهد نزلت في بني قريظة وهذا فيه نظر. لان السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتنف لهذا - 00:23:50
كله وقال ابن عباس ومجاهد وزيد ابن اسلم وعطاء وزيد ابن اسلم وعطاء الخرساني وعكرمة والحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف في براءة. قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر. الاية - 00:24:19
وفيه نظر ايضا لان لان اية براءة فيها الامر بقتالهم اذا امكن ذلك فاما ان كان العدو كثير كثيفا فانه يجوز مهادلتهم كما دلت عليه هذه

الاية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم - 00:24:41
يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله اعلم يعني لا منافاة بين الايتين وليست هذه الاية منسوخة باية براءة وليست مخصصة بل كل واحدة دالة على معنى ثابت - 00:25:04
وقوله وتوكل على الله اي صالحهم وتوكل على الله فان الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا فان حسبك الله اي كافيك وحده. ثم ذكر نعمته عليه بما ايده به من المؤمنين. المهاجرين والانصار - 00:25:25
فقال هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم اي جمعها على الايمان بك وعلى ومناصرتك ومؤازرتك لو انفقت ما في الارض جميعا بين الاوس والخزرج وامور يلزم منها التسلسل في الشر حتى - 00:25:54
اذا قطع الله ذلك بنور الايمان. كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا. وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها - 00:26:18
كذلك يبين لكم اياته لعلكم لعلكم تهتدون. وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الانصار في شأن غنائمه حنين قال لهم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فاغناكم - 00:26:38
فالفكم الله بي كما قال كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن. ولهذا قال تعالى ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم. اي عزيز الجناب فلا يخيب رجاء من توكل عليه - 00:27:02
حكيم في افعاله واحكامه. وقال الحافظ ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ انبئنا علي ابن بشر القزويني في منزلنا انبأنا ابو عبد الله محمد ابن الحسين القنديلي الاسترابازي - 00:27:27
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم ابن محمد ابن النعمان الصفار حدثنا ميمون ابن الحكم حدثنا بكر ابن ابن عن محمد ابن مسلم الطائفي عن ابراهيم ابن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس قال - 00:27:47
قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة قرابة الرحم تقطع ومنة النعمة تكفر القلوب ولم يرى مثل تقارب القلوب. يقول الله تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم - 00:28:07
ان القلوب لا تتقارب من اجل القرابة فقط قد يكون القريب مع قريبه متقاطعين متنافرين الولد مع ابيه والاب مع ابنه والاخ مع اخيه والنسيب مع نسيبه وكذلك منة النعمة - 00:28:32
قد يجود المرء على شخص فيشكره اياما ثم يكفر نعمته ثم يكفر نعمته فتحصل الانقطاع بينهم الا ان تقارب القلوب على طاعة الله ومحبة هذه هي التي تدوم وتستمر والمحبة في الله - 00:28:52
محبة الشخص لاخر في الله جل وعلا هذه من اوثق عرى الايمان كما قال عليه الصلاة والسلام اوثق الايمان الحب في الله والبغض في الله احب هذا الرجل لانه مطيع لله لانه تقي لانه صالح - 00:29:21
وتبغض ذاك لانه فاسق فاجر الحب في الله والبغض فيه من اوثق عرى الايمان عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنة النعمة تكفر. ولم يرى مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم وذلك موجود في - 00:29:43
اذا بتدوا قربى اليك بزلة فغشك واستغنى فليس بذي رحم. ولكن ذا القربى الذي ان دعوته اجاب وان يرمي العدو العدو الذي وان يرمي العدو الذي ترمي. اجاب وان يرمي العدو الذي ترمي - 00:30:17
قال ومن ذلك قول القائل ولقد صحبت الناس ثم صبرتهم وبلوت ما وصلوا من الاسباب فاذا القرار لا تقرب قاطعا. واذا المودة اقرب الاسباب قال البيهقي لا لا ادري. قال البيهقي لا ادري هذا موصول بكلام ابن عباس او هو من قول من دونه من من الرواء. وقال ابو اسحاق - 00:30:38
السبيعي عن ابي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم الاية. قال هم المتحابون في الله وفي رواية وفي رواية نزلت في المتحابين في الله. رواه النسائي والحاكم في مستدركه. وقال عبد الله بن - 00:31:07

مسعود رضي الله عنه هذه الاية لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم هذه نزلت في المتحابين في الله ان المتحابين في الله الله جل وعلا هو الذي الف بين قلوبهم وحبب بعضهم الى بعض على طاعته - 00:31:34
رواه النسائي والحاكم في مستدركه وقال صحيح فقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن طاووس عن ابيه عن ابن عباس قال ان الرحم لتقطع وان النعمة لتكفر وان الله اذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء - 00:31:57
ثم قرأ لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم. رواه الحاكم ايضا. وقال ابو عمرو الخزاعي حدثني عبده عن مجاهد ولقيته فاخذ بيدي فقال اذا التقى المتحابان في الله - 00:32:19
هذا احدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر. قال عبده فقلت له ان هذا ليسير. فقال لا تقل ذلك فان الله يقول لو انفقت ما في الارض جميعا - 00:32:41
اما الفت بين قلوبهم قال عبده فعرفت انه افقه مني. وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن عن ابراهيم الجزري عن الوليد ابن ابي مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما - 00:33:01
قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما قال مجاهد اما سمعته يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ان تآلف القلوب فيما بينها له منزلة - 00:33:21
عظيمة ويستحق الاجر العظيم بتقارب القلوب وتآلفها على طاعة الله والله جل وعلا يقول لو انفقت ما في الارض جميعا من اجل تاليف القلوب ما حصل يعني انه يستحق لو بذل فيه كل ما في الارض ومع ذلك لا يحصل - 00:33:42
التآلف بين القلوب. وانما التآلف بين القلوب شيء من الله جل وعلا. فاذا وجد بين اثنين تصافحا وتحابا او ظحك احدهما في وجه صاحبه تحاتت خطاياهما كما تحاد ورق الشجر اذا يبس - 00:34:11
يقول ان تقابل احد الشخصين مع الاخر وضحكوا معه لا يستحق هذا يقول فقرأ علي قوله جل وعلا لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي ان تآلف القلوب يستحق لو انفق فيه كل ما في الارض ومع ذلك قد يحصل وقد لا يحصل - 00:34:32
ولكن الله جل وعلا يقارب بين القلوب بطاعته ومحبته قال الوليد لمجاهد انت اعلم مني وكذا روى طلحة ابن مصرف عن مجاهد وقال ابن عول عن عمير ابن قال كنا نتحدث ان اول ما يرفع من الناس الالفة. وقال الحافظ ابو القاسم - 00:35:00
سليمان ابن احمد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن اسحاق التستري حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا سالم بن غيلان سمعت جعدا ابا عثمان حدثني ابو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي ان رسول الله صلى الله - 00:35:26
عليه وسلم قال ان المسلم اذا لقي اخاه المسلم فاخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما الورق عن الشجر اليابسة في يوم ريح عاصف والا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحر - 00:35:47